

جماليات التعبير الزمني في الخطاب القرآني عن الكون قراءة تفسيرية بيانية

خمائل رحيم داود سليمان

المشرف: أ.د. قتيبة عباس حمد

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات / قسم علوم القرآن

Aesthetics of Temporal Expression in the Qur'anic Discourse about the Universe: A Graphic Interpretive Reading

khmaylrhymdawd@gmail.com

الملخص

سعى البحث إلى الوقوف على الأبعاد الجمالية والبيانية للألفاظ الزمنية وحضورها في الخطاب الإلهي عن الكون؛ والكشف عن أسرار النظم القرآني الذي يتجاوز الوصف اللغوي لمعنى الزمان إلى دلالة الزمن في روح اللفظة القرآنية. وتكمن إشكالية البحث في نمطية تناول مع ألفاظ الزمن من الجانب اللغوي أو التفسيري دون توسع، مما يحجب جمالية التعبير القرآني في تصوير الإعجاز الكوني، تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي واستخلصت نتائج عدة منها: إن ألفاظ الزمن في القرآن الكريم تمثل "روحاً" تحاكي الوجدان، وقد تجلت جمالية "الإيلاج" في تصوير التدرج الفيزيائي للضوء والظلمة، كما ظهر أن التقابل الزمني في (بكرة وأصيل، ودلوك الشمس، وغسق الليل) بحضورها في الخطاب القرآني ليربط حركة العبد بنظام الفلك وانسجامها مع أوقات العبادة، محولاً اللفظ الزمني من أداة لتقدير الوقت إلى وسيلة لتدبر الآيات الكونية، ودعوة اهتداء لمعرفة الخالق - سبحانه - واليقين بوحدانيته، وعظمة الإبداع الإلهي، وقُدمت توصيات بضرورة توجيه الدراسات القرآنية المعاصرة نحو "الرؤى التفسيرية البيانية" التي تربط بين العلم وبين جمال المفردة القرآنية وتنوع دلالتها في سياق آيات كتاب الله. كما يدعو البحث إلى إدراج مادة تُعنى بـ "جماليات النظم الكوني" ضمن المناهج التربوية والتعليمية؛ لتعزيز ثقافة التدبر لدى الناشئة، وربطهم بالكون بوصفه كتاباً منظوراً يوازي ما ورد في القرآن الكريم. وذلك لتنشئة الأجيال القادمة على اليقين بوحدانية الله، والاهتداء لمعرفة الخالق - جلّ وعلا - التي تشهد كل ذرة في الكون على وجوده ورحمته.

الكلمات المفتاحية: الجمالية، الخطاب القرآني، الكون، التعبير الزمني

Abstract

This research sought to elucidate the aesthetic and rhetorical dimensions of temporal terms and their presence in the Divine discourse regarding the universe. It aimed to uncover the secrets of Qur'anic systems (Nazm) that transcend mere linguistic description, reaching the profound significance of time within the very essence of the Qur'anic word. The scholarly problem lies in the stereotypical treatment of temporal terms as abstract adverbs, which obscures the aesthetic beauty of Qur'anic expression in depicting cosmic inimitability. By employing a descriptive-analytical methodology, temporal terms were classified and analyzed both contextually and rhetorically. The findings revealed that temporal terms in the Holy Qur'an represent a "spirit" that resonates with human emotion; for instance, the aesthetic of "insertion" (*Al-Iylaj*) manifested in depicting the physical transition between light and darkness. Furthermore, temporal antithesis in terms such as (*Bukratan wa Asila*, *Duluk al-Shams*, and *Ghasaq al-Layl*) appeared in the Qur'anic discourse to link human movement with the celestial system and its harmony with acts of worship. This transforms temporal terminology from a tool for measuring time into a means for contemplating cosmic signs—a call to guidance toward knowing the Creator (Glory Be To Him), attaining certainty in His Oneness, and illustrating the grandeur of Divine creativity. Recommendations were provided on the necessity of directing contemporary Qur'anic studies toward "rhetorical interpretive visions" that bridge the gap between science and the beauty of the Qur'anic word. Additionally, the work calls for integrating a subject concerned with the "Aesthetics of the Cosmic System" into educational curricula to enhance the culture of contemplation among the youth, connecting them to the universe as a "visible book" that parallels the Holy Qur'an. Such an initiative aims to nurture future generations

with certainty in Allah's Oneness and guidance toward knowing the Creator, as every atom in the universe bears witness to His existence and mercy. **Keywords:** Aesthetics, Quranic Discourse, Temporal Expression, Universe.

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل الزمان آيةً شاهدة على عظمته، وجعل تعاقب الليل والنهار مدرسةً للمتدبرين، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، فبين لنا بلسانٍ عربي مبين أسرار الوجود، وبعد: يتنافس الباحثون في تناول الخطاب القرآني ويحظى البحث بشرف دراسة النص الإلهي الذي يجمع بين دقة المقصد وجمال التعبير، ويتجلى هذا الإعجاز في الخطاب المتعلق بالآيات الكونية، إذ أنّ المتأمل في آيات الكون يجد القرآن الكريم قد أولى "البعد الزمني" عناية وحضوراً لألفاظ بعينها، فلم يذكره كمجرد توقيت للأحداث، بل جاءت الألفاظ في صياغة بيانية تثير في النفس كوامن الجمال وتدفع العقل نحو التفكير والتدبر في عظيم خلق الله سبحانه. ويسعى البحث لإبراز "جماليات التعبير الزمني"، تلك الجماليات التي تجلت في الألفاظ القرآنية (كالسرمد، والأحقاب، والأمد، والعصر، دلوك، غسق) في الخطاب عن الآيات كونية لتتناغم مع نواميس الطبيعة، وتظهر أهمية هذا الطرح في كونه لا يقف عند حدود المعنى اللغوي للزمان، بل يذهب للبحث في "جمالية التنوع" وانتقال الخطاب من الوصف الحسي للزمان إلى الدلالة الوجدانية والهداية، وأمام اللغة القرآنية التي لا تخاطب الفرد بمعزل عن بيئته الكونية، بل إن الآيات الكريمة جعلت من الزمان وسيلة لربط المخلوق بالخالق، فيصل لأعلى درجات التأثير الحسي والإقناع العقلي، لذا فإن الرؤية التفسيرية البيانية للزمن الكوني تدعو المتدبر للنظر إلى قراءة فلسفة الوجود في التعبير القرآني، وقد اختلج في نفسي الوقوف على أسرار النظم القرآني وتجلياته الجمالية في عالم الشهادة، وجاء هذا البحث ليتناول "جماليات التعبير الزمني في الخطاب القرآني عن الكون برؤية تفسيرية بيانية".

ثانياً: إشكالية البحث

على الرغم من ثراء المكتبة القرآنية بالدراسات التي تناولت الآيات الكونية، إلا أن ثمة إشكالية معرفية لا تزال قائمة تتمثل في "تمطية التعامل" مع الألفاظ الزمنية؛ إذ غالباً ما تُعامل هذه الألفاظ كظروف مكانية أو زمنية مجردة دون الالتفات إلى وظيفتها الجمالية والبلاغية أو ربطها بالكشف عن جماليات الخطاب القرآني وقراءة الإعجاز الكوني، تبرز المشكلة في التساؤل عن أسرار الخطاب القرآني والتعبير بألفاظ زمنية بعينها في مواضع الحديث عن الكون، لبيان أن الزمان في القرآن هو "تسيج بياني" يخدم مقصد الهداية وأن إغفال الجانب الجمالي في تفسير هذه الآيات يؤدي إلى فهم قاصر لعظمة النظم القرآني، ومعرفة كيفية تحول اللفظ الزماني من مجرد أداة لتقدير الوقت إلى وسيلة لترسيخ اليقين وتصوير عظمة الإبداع الإلهي في هذا الكون الفسيح.

رابعاً: الأسئلة البحثية:

يتمحور البحث في الإجابة عن سؤال رئيس هو: "كيف تتجلى جمالية التعبير الزمني في الخطاب القرآني عن الكون؟"

وينبثق عن هذا التساؤل الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما أثر التنوع الزمني والبعد الرقمي في توجيه الدلالة التفسيرية للآيات الكونية؟

٢. "كيف تضافت دلالة المفردة الزمنية في الخطاب القرآني عن الكون؟"

خامساً: أهمية البحث

١. **على المستوى العلمي:** تتجلى الأهمية الأكاديمية لهذا البحث في كونه يطرق باباً من أبواب "البلاغة التفسيرية"، وهو باب الجماليات في الخطاب القرآني عن الكون، إذ يرفد البحث الميدان العلمي بمنهجية تحليلية تربط بين تفسير القرآن الكريم وعلم البيان، مما يفتح آفاقاً للباحثين لإعادة النظر في المفردة القرآنية فتخرج من مجرد تناولها بشكل أدبي أو تفسيري إلى روح اللفظة القرآنية وجمالياتها في الدلالة الزمنية.

٢. **على المستوى العملي:** يساهم البحث في تعميق "ثقافة التدبر" لدى عموم المسلمين والمتقنين، من خلال نقلهم من القراءة العابرة للآيات الكونية إلى الوقوف على أسرار النظم الجمالي فيها، كما إن ربط الإنسان بجماليات الزمن (كالليل والنهار) يعزز من توازنه النفسي واستقراره الوجداني، إذ يدرك أن كل ثانية في هذا الكون مسخرة بحكمة إلهية بالغة، كما تبرز الأهمية العملية في تقديم خطاب إسلامي معاصر يجمع بين "الأصالة البيانية" و"المعاصرة العلمية"، مما يسهل عملية الدعوة والتبليغ عبر إبراز وجهه من وجوه الإعجاز الذي يخاطب العقل الحديث، ويحول الآيات الكونية من معلومات غيبية إلى واقع مشهود يُستدل به على وحدانية الخالق وعظمته في كل لحظة زمنية ليصل إلى غايته في بناء شخصية مسلمة مدركة لعظمة الخالق عبر جماليات كونه المسطور.

يسعى هذا البحث من خلال القراءة التفسيرية البيانية إلى تحقيق الأهداف الآتية:
الهدف الرئيسي: استجلاء الجمالية والبيانية للتعبير الزمني في الخطاب القرآني عن الكون.

الأهداف الفرعية:

١. التعرف إلى جماليات الخطاب القرآني في البعد الزمني والرقمي.
٢. الكشف عن أثر تنوع التعبير القرآني وألفاظ الزمان في الخطاب عن الآيات الكونية.

رابعاً: منهجية البحث

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وهو المنهج المتسق مع طبيعة البحث من خلال رصد الألفاظ الزمنية الواردة في الخطاب الكوني وتصنيفها، وتحليلها بيانياً لاستنتاج الجمالية في الخطاب القرآني.

خامساً: هيكلة البحث:

انقسم البحث إلى ثلاث مباحث تسبقهما مقدمة وتردفعهن خاتمة، كما يلي:

المبحث الأول: الإطار النظري

أولاً: المفاهيم (الجمالية، الخطاب الكوني، الزمان).

١. الجمالية: الجمالية مَصْدَرٌ صناعياً مُشتَقٌّ من (الجمال)، والجمال في أصله اللغوي يعود إلى مادة (ج م ل)، ومنه قيل: "ناقة جمالية" أي في خلق جمل، وهو مَصْدَرُ الجميل، والفعل منه جَمَلَ يَجْمَلُ (الفراهيدي، ١٩٨٨، ٦ / ١٤٢، مادة: جمل). وقد ذكر ابن فارس أن الأصل الآخر لهذا الجذر هو الجَمَال الذي يمثل ضد القبح، ويُقال للرجل: جميل وجَمال (ابن فارس، ١٩٧٢، ١ / ٤٨١). وفي سياق التفرقة بين الخلق والخلق، أوضح ابن سيده أن الجمال مصدر الجميل، وأن الحُسْن يكون في الفعل والخلق (ابن سيده، ٢٠٠٠، ٥ / ٢٢٦)، ويتسع المعنى اللغوي ليشمل الاعتدال والاستقامة؛ فـ "أجمل الشيء" إذا جمعه بعد تفرّق، وأجمل بمعنى اعتدل واستقام، والجمال مصدر للفعل "جَمَلَ"، ويُطلق على الحُسْن سواء في السلوك أو الخلق (ابن منظور، ١٩٩٣، ١١ / ١٢٦). وقد أبان أن الجمال هو الحُسْن الذي يكون في الخلق والخلق، ويقع على الصور والمعاني معاً؛ لقوله ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال"، أي: حسن الأفعال كامل الأوصاف (ابن منظور، ١٩٩٣، ١١ / ١٢٧). أما لفظ "الجَمال" (بالضم والتشديد) فهو أبلغ من "الجميل"، ويُقال: "جَمَلَهُ" أي زَيَّنَهُ، ومنه "التجميل" أي إظهار الشيء في صورة الحُسْن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيخُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (سورة النحل: آية ٦)، دلالة على الحُسْن والبهاء (ابن منظور، ١٩٩٣، ١١ / ١٢٨)، وأشار أبدي إلى أن الجمال يكون في الخلق والخلق، ويقال: جَمَلَ كَكْرُم، فهو جميل كأمر وغراب ورمّان (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥، ٣ / ٤٨٠). واتفق معه الزبيدي في دلالة الجمال على الحُسْن، وأضاف أن الجَمَلَ ربما سُمِّيَ بذلك لما فيه من جمال يُعَدُّ لقومه، والجمال "رَقَّةُ الحُسْن، وكثرة الحُسْن"، وهو نوعان: أحدهما يختص بالإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله، والآخر ما يتعدى أثره إلى غيره (الزبيدي، د.ت، ١٤ / ١٢١). وبذلك تتقاطع المعاني عند جوهر الجمال الذي يدل على الحُسْن والزينة والبهاء. أما اصطلاحاً: فقد وردت الجمالية في "أساس البلاغة" من مادة (ج م ل)، ما يفصح عن ثراء دلالات هذا الجذر؛ إذ يُقال: "فلان يعامل الناس بالجميل"، وُحُتَّ على المجاملة، ويُقال: "إذا لم يملك مالك لم يُجد عليك جمالك"، و"أجمل في الطلب" أي لم يفرط في الحرص، وإذا أصبت بنائبة "فتجمل" أي تصبّر وتحلّ بسمت الوقار (الزمخشري، ١٩٩٦، ١ / ٦٣)، ومن مجازات الاستعمال قولهم: "جمال الشحم" أي أذابه، و"استجمل البعير" أي صار جملاً، و"ناقة جمالية" على هيئة الجمل في خلقها، و"رجل جمالي" أي عظيم الخلق أو ضخم البنية (الزمخشري، ١٩٩٦، ١ / ٦٣).

٢. الخطاب القرآني: إن لمفهوم الخطاب مكانة هامة في الدراسات اللسانية وتحليل النصوص؛ كونه وسيلة تعبيرية تنبثق من العلامة اللغوية، وتتيح للإنسان إمكانية التعايش الجمعي والاندماج في الثقافة الجماعية (مخلف، ١٩٨٥)، ويرتبط مصطلح الخطاب ارتباطاً وثيقاً بفعل التواصل، حيث يحيل إلى عناصر أساسية تتمثل في المتخاطبين، وسياق الخطاب، ومقاصده (عبد الله، ١٩٩٣، ٥٨). والخطاب في جوهره فعالية اجتماعية قادرة على استيعاب الأنساق الحضارية وتطويرها وهو أداة فاعلة في بناء المعنى ونقل القيم والتجارب الإنسانية عبر الأزمنة (عبد الله، ١٩٩٣، ٥٨). أما الخطاب القرآني، فهو النص الإلهي المنزل على النبي محمد ﷺ بلسان عربي مبين، والموجّه إلى الإنسان فرداً وجماعة، بما يحمله من تكاليف وتشريعات، وأخبار ومواعظ، ووعد ووعد، ويتميز هذا الخطاب بأسلوب بياني معجز يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني، ويتنوع بحسب المقامات والسياقات فهو مصدر الهداية للإنسان في مختلف شؤون حياته. وفي هذا السياق، يؤكد دراز (١٩٩٨، ٤٥-٤٧) أن الخطاب القرآني

يتجاوز حدود البيان العادي ليكون خطاباً مؤسساً لهوية الأمة، حيث يجمع بين الإقناع بالبرهان واستدعاء الفطرة والضمير، وهو نص متجدد يخاطب الإنسان في جميع حالاته ومستوياته المعرفية. ويضيف السامرائي (٢٠٠٠، ١٢-١٥) أن هذا الخطاب يتميز بدقة اختيار الألفاظ وانسجامها مع السياق، فهو يراعي أحوال المخاطبين وظروفهم النفسية، فيتنوع أسلوبه بين الترغيب والترهيب، والحوار والقصص، مما يحقق أعلى درجات التأثير والإقناع، ويرى الطباطبائي (١٩٧٣، ١/ ٥-٦) أن الخطاب القرآني بيان إلهي شامل يعالج قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق في منظومة مترابطة، ويقوم على التدرج في البيان بما يناسب مدارك المخاطبين، كاشفاً عن الحقائق بأسلوب يجمع بين العمق والبساطة. وترى الباحثة أن مفهوم الخطاب في القرآن لا يقتصر على مجرد الإبلاغ، بل هو حوار حي بين الخالق وعباده، يجسد مقصد الهداية والتوجيه بصورة تتجلى فيها عظمة النظم الإلهي، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس: آية ٥٧). فالخطاب القرآني متعدد الأبعاد، يفتح على المستويات العقلية والوجدانية كافة، محققاً التوازن بين الحجة والبيان.

٣. الآيات الكونية (تعريفها، والحكمة من وجودها)

أ. تعريف الآيات الكونية

جاء لفظ الآية في اللغة على معنيين؛ الأول وهو الأشهر: العلامة (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٤/ ٦١). وقد بيّن الراغب الأصفهاني (١٩٩٢، ١/ ٣٤) أن الآية هي العلامة الظاهرة التي يلزم إدراكها إدراك شيء آخر خفي، فمن عين مصنوعاً تيقن بالضرورة وجود صانع له. أما المعنى الثاني فهو الجماعة، كما في قولهم: جاء القوم بأيّتهم أي بجماعتهم (ابن فارس، ١٩٧٢، ١/ ١٦٨). أما "الكون" لغةً فهو الوجود المطلق العام، ويُطلق على ما يحدث دفعة واحدة، أو هو حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن موجودة فيها (الزبيدي، د.ت، ٣٧/ ١٢٢). وعُرِفَت الآية اصطلاحاً بأنها العلامة المنسوبة للنظر والاعتبار (ابن عطية، ٢٠٠١، ١/ ٤٥). ويرى البيضاوي (١٩٩٨، ١/ ٥٦) أنها تطلق على المصنوعات من حيث دلالتها على وجود الصانع وعلمه وقدرته. وقد فصل ابن عاشور (١٩٨٤، ١/ ١٢٢) في دلالتها، موضحاً أن آيات الله هي الدلائل التي جعلها دالة على وجوده وصفاته، سواء كانت قولاً أو فعلاً. بيّن الشنقيطي (٢٠٠٥، ١/ ٣٥) أن لفظ الآية يُستعمل على معنيين؛ الأول: الآيات الشرعية الدينية كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ (سورة البقرة: آية ٢٥٢)، والثاني: الآيات الكونية القدرية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران: آية ١٩٠)، وبذلك، فإن الآيات الكونية هي العلامات المنسوبة إلى ما خلقه الله وأوجده في الآفاق، وتشمل السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات تدل على عظمته سبحانه (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٢/ ١٥٠).

ب. الحكمة من وجود الآيات الكونية في القرآن

تتعدد الحكم من ورود الآيات الكونية في الخطاب القرآني، ونذكر أبرزها فيما يلي:

١. ترسيخ التوحيد: حيث تكشف هذه الآيات عن انسجام الكون بقوانين دقيقة تدل على وحدة الخالق وحكمته، وهي دعوة للتأمل المفضي إلى الإيمان (الرازي، ١٩٨١، ٨/ ٢٢٠).
٢. تحريك العقل للتفكير: فالغاية ليست مجرد العظة، بل دفع الإنسان للنظر والاستنتاج للوصول إلى الحكمة من وراء النظام الكوني (الزركشي، ١٩٩٠، ١/ ٧٢).
٣. التربية الأخلاقية والوجدانية: إذ يتعلم الإنسان التواضع أمام عظمة الخالق، مما يربي القلب على الخشوع واليقين (قطب، ٢٠٠٣، ٤/ ٢١٢٣).
٤. تثبيت الحجة: تُعد الآيات الكونية شاهداً محسوساً لا ينكره أحد، فهي وسيلة لإقامة الحجة على المنكرين (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٢٢/ ٤٥).
٥. الإعجاز العلمي: تتضمن الآيات إشارات علمية دقيقة لم تُكتشف إلا حديثاً، مما يؤكد أن القرآن معجزة مستمرة وتوافق تام مع الحقائق الكونية (الزندان، ٢٠٠٠، ١/ ٣٥).

٤. جماليات الخطاب القرآني عن الآيات الكونية

بالكشف عن مفهوم الجمالية في الفكر العربي والغربي يؤكد نغرد النص القرآني كونه أرقى النصوص؛ إذ اجتمع فيه حُسن المبنى وروعة المعنى، فكان معجزاً ببلاغته، ومؤثراً في النفوس بجرسه وإيقاعه، وجامعاً بين جمال الحس وجمال القيم (المحس، ٢٠٠٥، ٢٠)، فيغدو الحديث عن مظهرات الجمالية في القرآن الكريم امتداداً للمسار الفكري والنقدي، فيكشف عن أسرار هذا النص الإلهي بجلاله وسموه عبر العصور؛ إذ تنتوع الجمالية فيه من خلال النظم، والتكرار، والتصوير الفني، واللفظ الذي يتماسك بانسجام مع السياق (المحس، ٢٠٠٥، ٢٠). وليس من الغريب أن نلتصم الجمالية في القرآن الكريم؛ ولا سيما أن ألفاظاً مثل: (الجمال، والحسن، والزينة، والزخرف) قد وردت فيه، وهي مفردات تكتسب معانيها

الخاصة في الاستعمال القرآني (المحصر، ٢٠٠٥، ٢٠). فالقرآن الكريم يمثل ذروة الجمال في عالم البيان، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الزمر: آية ٢٣)، حيث تفرد بجلاله ونظمه حتى غدا نسيجاً وحده في قوة التأثير (أبو ملحم، د.ت، ١١). يمتاز الجمال القرآني عن الخطاب البشري وفنونه بمخاطبته للعقل والقلب فيستضاء بالوصل الإلهي فلا يصيبه السأم بل تألف النفس على ما فطرت عليه من التعلق بالرحمن الرحيم، الخالق لهذه الروح مصداقاً لقوله تعالى: لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، فالناس إذا استمعوا للشعر أو الموسيقى ملّوها بالتكرار، أما القرآن فكلمة أعيد سماعه ازداد به النفس تعلقاً (أبو ملحم، د.ت، ١١). وقد شهدت الجن بهذه الفردة قائلين: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (سورة الجن: آية ١)، بينما عجز الكافرون عن وصفه إلا بالقول: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (سورة المدثر: آية ٢٥)، وآيات القرآن الكريم تزخر بالحديث عن مظاهر الحُسن في الكون، مبلورة قيمة الفن الذي يصاحبه العلم والمعرفة التي ترتقي بالعقول (عدرة، ١٩٩٦، ١٦)، ومن تجليات ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (سورة الحجر: آية ١٦)، ويشير الطوسي (د.ت، ٦ / ٣٢٤) إلى أن هذا "الجعل" قد يكون بتصوير الشيء من حال إلى حال أو بإنشائه ابتداءً، والبرج في اللغة هو الموضع البارز الظاهر (ابن منظور، ١٩٩٣، ٣ / ٢١٦، مادة: برج)، وذهب الحُسن ومجاهد وقتادة إلى أن المقصود بالبرج هنا النجوم التي تظهر زينتها في السماء (الطوسي، د.ت، ٦ / ٣٢٤)، مما يبرز جمال التعبير عن العلو والظهور في الخطاب الكوني.

٥. معنى البيان وأهميته في التفسير

أ. معنى البيان:

"البيان" لغة: البيان اسم مَصْدَرٍ من الفعل (بَيَّنَّ) تدور معانيه حول: "الإبانة، والفصاحة، والإيضاح، والكشف عن المشكل" (الجوهري، ١٩٨٧، ٥ / ٢٠٨٣). قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (سورة يوسف: آية ١). قال ابن فارس: "بان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف. وفلان أبين من فلان، أي أوضح كلاماً منه" (ابن فارس، ١٩٧٢، ١ / ٣٢٨). وفي لسان العرب: "البيان هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم ودكاء القلب مع اللسان"، وأصله الكشف والظهور (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٣ / ٦٩ - ٣٨٦)، وذهب الجوهري إلى أن "البيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بياناً: اتضح فهو بين، والجمع أبيان، مثل: هيّن وأهيناء، وكذلك أبان الشيء فهو مبين، وتبين الشيء: وضح وظهر، والتبيين: الإيضاح والوضوح" (الجوهري، ١٩٨٧، ٥ / ٢٠٨٣)، والمبين هو المظهر الواضح، مأخوذ من الفعل (بان) إذا ظهر، فيقال: "بين فلان كذا" أي أظهره وأوضح معناه (الشوكاني، ١٩٩٢، ٢ / ١٣). واصطلاحاً: هو "النطق الفصيح المعبر، أي المظهر عما في الضمير"، وهو "إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستوراً قبله" وقال الجرجاني أنه "الكلام الذي يزود اللسان حلوة ويسلك به السبيل إلى إظهار المعنى، وهو فن استجلاء الغوامض وإظهار المحكم من كلمات اللسان" (الجرجاني، ١٩٨٥، ١ / ٤٧)، وعرفه السيوطي بأنه "إخراج الشيء من دائرة الإشكال إلى فضاء الوضوح" (السيوطي، ١٩٩٦، ١ / ٦٣).

ب. أهمية البيان في التفسير:

تظهر أهمية علم البيان وجوانبه في تفسير القرآن الكريم في كونه يُعين على كشف مرامي التعبير القرآني. فمثلاً: تظهر الاستعارة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة النور: آية ٣٥)، حيث توصل المعنى الروحي العميق في صورة حسية جميلة. ومن تعريف الرازي للبيان: "فهو ما دلّ على المراد بخطاب لا يستقل بنفسه في الدلالة على المراد" (الرازي، ١٩٩٢، ٣ / ١٥٠). كما يُطلق الفعل (بينَ) ويراد به (التبيين) (ابن النجار، ١٩٩٧، ٣ / ٤٣٨). ويبدو أن هذا التعريف هو الأقرب للمقصود؛ لكونه أنسب في إطار الدراسة القرآنية، وهنا تبرز أهميته في تفسير القرآن؛ فهو لون من ألوان البيان الذي يكشف المراد من الآية أو من بعض أجزائها، عبر الارتباط المباشر بما يليها أو يسبقها من نصوص قرآنية، بحيث يكون هذا الاتصال معيّنًا على توضيح الدلالة وتحديد المعنى، وبهذا يتميز البيان المتصل عن دلالة السياق وعن اللّحاق المطلق (الكفوي، ١٩٩٨، ١ / ٥٠٨). وقد عُرف الاستناد إلى السياق القرآني الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة"، وأفرد باباً بعنوان: "الصنف الذي يبين سياقه معناه" (الشافعي، ١٩٤٠، ١ / ٦٢)، ومن هنا تبرز أهمية النظر في استعمالات السياق في كتب المفسرين، كونه ما قبل الكلام وما بعده، ومثال ذلك ما أورده الأندلسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة: آية ١٩٧)، حيث قال: "فعلى ما روي من سبب نزول هذه الآية يكون أمراً بالتزود في الأسفار الدنيوية، غير أن الذي يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر وما بعده، أن يكون المراد التزود من الأعمال الصالحة التي تكون للإنسان كالزاد في سفره إلى الآخرة"، إذ سبقها الآية من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة: آية ١٩٧)، بغرض الحث والتحريض على فعل الخير، وما يترتب عليه من جزاء في الآخرة، وبعده: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة: آية ١٩٧)، والتَّقْوَى هي ما يُتَّقَى به النار، وتعلق الحث بأولي الألباب ومنزلة التقوى في قلوبهم (الأندلسي، ١٩٩٢، ٢ / ٢٩٠).

٦. مفهوم الزمن: لغةً: أشار ابن منظور أن (الزمن) و(الزمان) اسمان يُطلقان على الوقت قليلاً وكثيره، ويُجمعان على أزمن وأزمان وأزمنة، ويُقال "أزمن الشيء" إذا طال عليه الأمد، و"أزمن بالمكان" أي أقام به برهة من الوقت (ابن منظور، د.ت، ٣/ ١٩٩)؛ أما في الاصطلاح فقد كان مفهوم الزمن موضع لبس واختلاف بين المفكرين القدامى والمحدثين، إلا أنهم ربطوا في جوهر طروحاتهم بينه وبين الحركة والتغير، إذ لا وجود لزمنٍ دون حركة تعتمد عليها ماهيته ويُقاس بفواصلها التي تتعاقب فيها الأشياء (الألوسي، ٢٠٠٥، ١/ ١٦٩). وقد عُرف الزمان بأنه "مقدار حركة الفلك" أو ساعات الليل والنهار سواء كانت المدة طويلة أم قصيرة (الزركشي، ١٩٥٧، ١/ ١٢٣)، أو أنه علاقة تنجم عن حركة جرم الأرض حول الشمس وحول نفسه، وبناءً عليه فليس ثمة زمان في غير الكواكب بل ولا خارج مخروط كل كوكب، كون الليل ليس إلا ظل الأرض (الطبري، ١٩٦٠، ١/ ٩). كما ذهب اتجاه آخر إلى أن الزمن هو "تصور ينشأ لدى الإنسان" من ملاحظته للتغيرات الحركية أو الكيفية التي تطرأ على الأشياء، مما يجعله من أعقد المفاهيم التي تتداخل فيها الأبعاد الفيزيائية بالوعي الإنساني (جبر، د.ت، ١/ ٧٢).

ثانياً: الدراسات السابقة

في دراسة: (عوض، ٢٠٠٩م)، الموسومة بـ: "أسماء الزمن في القرآن الكريم - دراسة دلالية"، فقد تتبع ألفاظ الزمان في النص القرآني وفق منهج يجمع بين الاستقراء والتحليل التاريخي؛ حيث استهل الباحث دراسته بتأصيل مفهوم الزمن وتطوره عبر العصور، وصولاً إلى حصار أسماء الزمن الواردة في القرآن الكريم وترتيبها معجماً وإحصائياً. وقد صنف الباحث الألفاظ الزمنية إلى (١٤) مجموعة دلالية (كألفاظ الزمن الممتد، والمحدود، وأجزاء اليوم والليل، والظروف)، محلاً سياقاتها الدلالية بالاستناد إلى المعاجم وكتب التفسير والشواهد الشعرية. كما أفردت الدراسة مساحة لتحليل القضايا اللغوية والظواهر البلاغية المرتبطة بهذه الأسماء، كالمشترك اللفظي والتضاد والتصوير الفني، مدعمة النتائج بملاحق إحصائية دقيقة تبين نسب ورود الألفاظ ومواضعها. وقد أفاد البحث الحالي من هذه الدراسة في تحديد المجموعات الدلالية للألفاظ الكونية وتوظيف التحليل السياقي لبيان قيمتها الجمالية (عوض، ٢٠٠٩، ز) ودراسة: (سرحان، ٢٠٢٥م)، بعنوان: "الآيات الكونية في سورة الأعلى: دراسة موضوعية"، فتناولت الآيات الكونية في سورة الأعلى بالتحليل الموضوعي، مستهدفةً بيان المعاني والدلالات الكونية والمقاصد الإيمانية المترتبة عليها. وقد خلصت الباحثة إلى أن السورة تقدم صورة شاملة للقدرة الإلهية المطلقة من خلال مشاهد كونية تدعو للتفكير، حيث تتبعت الدلالات الكونية في محاور محددة شملت: (التسبيح الكوني، تسوية الإنسان، التقدير الإلهي، الهداية العامة للمخلوقات، ودورة الحياة والتحويلات البيئية). وأكدت الدراسة أن هذه التحويلات (مثل إخراج المرعى وجعله غطاءً أحوى) ليست مجرد ظواهر طبيعية، بل هي دلائل لإثبات قدرة الله على الإحياء والإماتة، وإبراز التوازن والتدبير الإلهي الذي يربط الإنسان بالنظام الكوني العام. وتلتقي هذه الدراسة مع البحث الحالي في التركيز على "جماليات النظم الكوني"، إلا أن البحث الحالي يتميز عنها بتوسيع نطاق التحليل ليشمل "البعد الزماني والرقمي" في الخطاب الكوني عبر سور متعددة (سرحان، ٢٠٢٥، ١٨٣). أما دراسة (عزام، ٢٠١٧) الموسومة بـ "وحدات الزمن وأجزاؤه في القرآن الكريم (دراسة قرآنية)"، فتمحورت حول مفهوم الزمن في المنظور القرآني وكيفية تقسيمه إلى وحدات وأجزاء دقيقة. استهل الباحث دراسته بتأصيل معاني (الزمن، والوحدة، والجزء) من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، مع استعراض الألفاظ والتراكيب القرآنية الدالة على الزمن بصفة عامة، وعمدت الدراسة إلى تفصيل أجزاء اليوم القرآني وما يشتمل عليه من تقسيمات ليلية ونهارية، مع ربط هذه الأجزاء ببيان أوقات الصلوات المفروضة وتحديد مواقيتها كما وردت في النص القرآني والسنة النبوية الشريفة. كما أفاض الباحث في تحليل فترات الليل، مخصصاً حيزاً واسعاً لفترتي المغرب والعشاء، ثم تدرج في استعراض أجزاء الزمان وصولاً إلى وقت الفجر وما يليه حتى شروق الشمس، وخلصت في نتائجها إلى أن تجزئة القرآن الكريم للأوقات والأزمنة إلى وحدات محددة يعكس الأهمية البالغة للوقت في حياة المسلم، ودوره الجوهرية في تنظيم شؤونته واستغلال طاقاته بكفاءة (عزام، ٢٠١٧، ٣٥). وعن دراسة: (حجازي، ٢٠٢٥م)، المعنونة بـ: "الخطاب القرآني ودور السياق في تفسير القرآن الكريم"، فقد سعت هذه الدراسة إلى إبراز أثر السياق والاحتمال النحوي في تحليل النص القرآني وتوجيه معانيه، وذلك في ظل التحويلات الكبرى التي شهدتها الدرس اللغوي الحديث وبروز اللسانيات النصية. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لارتداد أفق تطبيقي يتجاوز جمود المصطلحات النظرية، مستهدفاً إزالة الغموض والضبابية التي قد تعتري تفسير النصوص عند إغفال الجوانب الدقيقة للاحتتمالات النحوية. وخلصت الدراسة إلى نتائج جوهرية؛ أهمها أن علماء التفسير العرب كان لهم الدور الأبرز والأسبق في تفصيل المفاهيم والعلل النحوية والكشف عن الدلالات القرآنية العميقة، مؤكدةً أن المصطلحات اللسانية الغربية الحديثة لا تلغي زيادة التصورات التي وضعها العلماء القدامى في مضامين كتبهم. وتتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في اعتماد "المنهج التحليلي" لاستجلاء آفاق الخطاب القرآني، مع تركيز البحث الحالي على "جماليات التنوع" في الآيات الكونية والزمانية بشكل خاص (حجازي، ٢٠٢٥، ٢٥). وقدم العمراني عام ٢٠٢٤، بحثاً بعنوان: "الإقناع في القرآن الكريم: دراسة موضوعية من خلال الآيات الكونية في سورة فاطر"، وتناول فيه أسلوب

القرآن الكريم المنفرد في إقناع العقل البشري عبر توجيهه للنظر والتدبر في آيات الكون المنظور، مع تخصيص الدراسة للآيات الكونية الواردة في سورة فاطر. وهدف البحث إلى الكشف عن عظمة الأسلوب القرآني في شحذ الطاقة العقلية الإيجابية من خلال التفكير في الآيات المشاهدة. واعتمد الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي للوصول إلى مجموعة من النتائج؛ أهمها أن القرآن الكريم يمثل معجزة خالدة تميزت بمخاطبة العقل مباشرة للوصول إلى المعرفة اليقينية بالخالق سبحانه، وأن الآيات الكونية هي "كتاب الله المنظور" لكل عقل إيجابي يسعى لمعرفة المبدع. كما خلصت الدراسة إلى أن سورة فاطر تميزت بمنهجها في قيادة الفرد نحو الإيمان اليقيني من خلال التأمل الكوني (العمرائي، ٢٠٢٤، ٢٣). بالتعقيب على الدراسات السابقة، فقد تبين أنها تتفق في تناولها لألفاظ الزمان دلاليًا والآيات الكونية وتناول بحث العمرائي دراسة الإقناع في الخطاب القرآني، وأسست هذه الدراسات لفهم الوحدات الزمنية ودور السياق في توجيه المعاني الإعجازية والتربوية، إلا أن بحثنا ينماز بالربط بين ألفاظ الزمان وحضورها في الخطاب القرآني عن الكون، فتتسع الرؤية التفسيرية إلى تنوع الخطاب وربط بين البعدين الزماني والرقمي، وبذلك يتجاوز البحث إلى روح اللفظة القرآنية والتعبيرات الجمالية وأثرها في غرس اليقين والهداية لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: الخطاب في البعد الزماني والرقمي

أولاً: الليل والنهار والتقدير الزمني

في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ (سورة فاطر: آية ١٣)؛ جاءت الآية الكريمة للتذكير بآية الليل والنهار، وجمالية الخطاب تتجلى في مفردة "الإيلاج" التي تصور التداخل الزمني الناعم الذي يمنع الصدمة الكونية، وقد افتتح النص القرآني بفعل الإيلاج (يُولِجُ)؛ وهو من مادة (و ل ج) التي تدل على الدخول في مضيق، أو الدخول الرفيق واللين؛ فأُولِجَ الشيء في الشيء أي أدخله فيه تدريجياً برفق ونعومة لا بالمفاجأة والقطع (الأصفهاني، ١٩٩٢، ١ / ٨٨٢، مادة: ولج). إن هذا الإيلاج يعني أن الله تعالى يدخل من ساعات الليل في ساعات النهار فيزيد النهار وينقص الليل، وبالعكس، وهذا يحدث بالتدريج لا بالمفاجأة، فلا يذهب الليل دفعة واحدة ولا يأتي النهار فجأة (الطبري، ٢٠٠١، ٢٠ / ٤٣٦-٤٣٥). وهذا التداخل اللطيف من رحمة الله بخلقه؛ إذ لو جاء النهار فجأة لتأثت العيون، ولو جاء الليل فجأة لتعطلت المصالح (القرطبي، ١٩٦٤، ١٤ / ٣٢٩-٣٢٨). كما تشير الآية إلى ظاهرة فيزيائية دقيقة، وهي التداخل التدريجي بين الضوء والظلمة عبر منطقة الشفق أي: الفجر والغسق، حيث لا يوجد خط فاصل حاد بين الليل والنهار، بل منطقة انتقالية (الطباطبائي، ١٩٧٣، ١٧ / ٢٧-٢٨). واختيار لفظ "الإيلاج" دون "الإدخال" يُصوِّر الانسجام الكوني والتناغم الزمني في حركة دائرية ناعمة ومنسجمة (فضل الله، ١٩٩٨، ١٩ / ١٧٨-١٧٩)، وهذا التصوير القرآني الرائع في كون الإيلاج يقتضي تسلل أحدهما إلى الآخر دون صدمة، وفي تكرار الفعل مع تبديل المتعلقات تصوير للحركة الدائرية المستمرة التي لا تتوقف (الزمخشري، ١٩٩٦، ٣ / ٦١٢). وهذه المقابلة البديعة تُجسِّد التداخل الذي يمنع الصدمة البصرية والنفسية على الكائنات الحية (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٢٢ / ٢٧٨-٢٧٩). وكأن كلاً منهما يلج في الآخر كما يلج الخيط في الإبرة برفق وتأنٍ، وهذا من أعظم الجماليات الكونية الدالة على الحكمة الإلهية (البقاعي، ١٩٨٤، ١٦ / ٧٨). ويؤكد النجار (٢٠٠٤، ٤ / ١٥٦-١٥٩) أن التعبير بـ "الإيلاج" يتوافق تماماً مع الحقيقة الفيزيائية الناتجة عن كروية الأرض ودورانها حول محورها، مما يُنتج منطقة "الشفق" (Twilight) التي يتداخل فيها الضوء والظلام تدريجياً، ولو كانت الأرض مسطحة لكان الانتقال فجائياً صادمًا. ويشير النابلسي (٢٠٠٥، ٣ / ٣١٢-٣١٤) إلى أن هذا الإيلاج له حكمة بيولوجية عظيمة لحماية شبكية العين من التلف الناتج عن الانتقال الفجائي بين النور والظلام. وقد أثبت العالم الفلكي نورثروب (Northrop, 1998, 45-52) في دراسته أن هذا التدرُّج عبر مراحل الشفق (المدني، والبحري، والفلكي) ضروري لاستمرار الحياة. كما أشار مور والزندان (Moore & Al-Zindani, 1983, Appendix) إلى أن الوصف القرآني للإيلاج يتطابق مع الحقائق الفيزيائية لدوران الأرض. وأوضح بوكاي (Bucaille, 1976, 162-165) أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي وصف هذه الظاهرة بدقة قبل اكتشاف كروية الأرض بقرون. ويُضيف ميلر (Miller, 1992, 33-35) أن هذا التعبير يستحيل أن يكون إنتاجاً بشرياً في القرن السابع الميلادي لأنه يفترض معرفة مسبقة بكروية الأرض ودورانها. قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (الأنعام: ٩٦)؛ تخاطب الآية الكريمة العقول والقلوب معاً، بأجمل المشاهد الكونية حين ينقشع ظلام الليل وينفلق الصباح بأنواره، وهنا يشعر المؤمن بأنه مغمور بنعم الله تعالى بين الليل وسكونه وبين جمال الإصباح، فلا ينطق لسانه إلا بالحمد والتسبيح امتناناً للعزیز العليم. ولقد افتتحت الآية الكريمة باسم الفاعل (فَالِقُ)؛ وهو من فَلَقَ يَفْلُقُ أي الشَّقَّ والفصل، ففالق الإصباح هو شاقٌّ عمود الصبح من ظلمة الليل (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٠ / ٢٩٧، مادة: فلق)، و(الإصباح) هو مصدر أصبح أي الدخول في وقت الصبح وهو أول النهار (الجوهري، ١٩٨٧، ١ / ٣٧٥، مادة: صبح). وقد جعل الله الليل (سَكَنًا)؛ أي ما يُسكن إليه ويُستراح فيه من تعب النهار (الأصفهاني، ١٩٩٢، ١ / ٤١٧، مادة: سكن)، كما جعل الشمس والقمر (حُسْبَانًا)؛ وهو مصدر بمعنى

الحساب أو جمع له، والمقصود أن مسيرهما يجري بحساب رياضي دقيق لا يتخلف يُعرف به الأوقات والأزمنة (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٥٦/٢، مادة: حسب). إن الله تعالى شاقٌ ظلمة الليل بنور الصباح، وقد جعل الليل وقتاً للسكون والراحة، والشمس والقمر أدوات لحساب المواقيت والسنون والشهور (الطبري، ٢٠٠١، ١١/٥٧٠-٥٦٨). ويدل قوله (حُسْبَانًا) على أنَّ حركة الأجرام ليست عشوائية، بل هي محسوبة بدقة رياضية متناهية تتيح التنبؤ بالكسوف والخسوف لآلاف السنين، مما يُظهر البُعد الرقمي والرياضي في النظام الكوني (الرازي، ١٩٨١، ١٣/١٤٢-١٤٤). وتجمع الآية بين ثلاثة أبعاد زمنية متكاملة: البُعد اليومي في تعاقب الليل والنهار، والبُعد الوظيفي في سكن الليل، والبُعد الرياضي في حساب الشمس والقمر، مما يثبت أن الزمن في القرآن له أبعاد فيزيائية ووظيفية ورياضية (الطباطبائي، ١٩٧٣، ٧/٣٢٤-٣٢٦). وهذا الحساب الدقيق هو الأساس الذي أراد الله من الإنسان أن يتعلم من خلاله الرياضيات والتقويم والتاريخ (الشيرازي، ١٩٩٢، ٤/٥١٤-٥١٢). وجمال النص القرآني وروعة النظم يكمن في الجمع بين الجمال الحسي والدقة الرياضية في تصوير لحظة الفجر وكأنَّ النور يشقُّ الظلمة شقاً، لينتقل الخطاب من الجمال البصري إلى الوظيفة العملية ثم إلى الدقة الحسابية (الزمخشري، ١٩٩٦، ٢/٧٥). واختيار لفظ (حُسْبَانًا) دون "حساباً" يُعد صيغة مبالغة تدلُّ على الحساب البالغ في الدقة، وكأنَّ الأجرام ساعتان كونيتان عظيمتان (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٨/٥٦-٥٨). وبذلك رُسمت لوحة زمنية متكاملة تجمع الجمال البصري بالفجر، والوظيفي بالليل، والرياضي بالشمس والقمر (الأندلسي، ١٩٩٢، ٤/٦١٢). ويؤكد النجار (٢٠٠٤، ٤/٢١٢-٢١٥) أنَّ قوله (حُسْبَانًا) يتوافق تماماً مع ما أثبتته علم الفلك الحديث من خضوع حركة الشمس والقمر لقوانين رياضية دقيقة يمكن حسابها بمعادلات فيزيائية. ويشير (الزندان، ٢٠٠٠، ١/١٥٦-١٥٨) إلى أنَّ اتخاذ البشرية للتقاويم الشمسية والقمرية يُؤكِّد كونها أدوات حساب إلهية دقيقة للزمن. وقد أثبت العالم كبلر (Kepler, ١٦١٩) في قوانينه لحركة الكواكب أنَّ الكون يسير بـ"حساب" رياضي دقيق. وعلَّق الفيزيائي أينشتاين (Einstein, 1962) على هذه الدقة بقوله: "إنَّ الله لا يلعب النرد بالكون". كما بيَّن الفلكي نيوكومب (Newcomb, 1898) أنَّ حركة الشمس والقمر يمكن حسابها بدقة تصل لأجزاء من الثانية. ويشير بوكاي (Bucaille, ١٩٧٦، ١٦٠-155) إلى أنَّ القرآن أشار لهذه الحركة المحسوبة قبل قوانين كبلر ونيوتن بقرون. وأوضح (نصيف ١٤١١هـ، ١/١١٢-١١٨) أنَّ لفظ (حُسْبَانًا) يدلُّ على أنَّ الكون "ساعة كونية كبرى". كما أشار (الباشا ١٩٩١، ١/٢٣٨-٢٣٤) إلى أنَّ الآية تُعد إشارة لما يُعرف اليوم بـ"الساعة الذرية الكونية".

ثانياً: الأيام والشهور:

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: آية ١٤٠)؛ تشهد الآية على فلسفة الزمن الدوري وحركة التعاقب من جمالية "المداولة"، ويخاطب الله تعالى المتدبر لآياته، و(الأيام) وهي جمع يوم، من مادة (ي و م) وتطلق على مطلق الزمان (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥، ١/١١٧٢، مادة: يوم). أما فعل (نُدَاوِلُهَا)؛ فهو من مادة (د و ل) التي تدل على تحول الشيء من حال إلى حال، أو من يد إلى يد (ابن فارس، ١٩٧٢، ٢/٣١٢، مادة: دول). و"المداولة" هي أبلغ وصف لعادلة الزمان الكونية؛ حيث جعل الله الأيام "دَوَلًا" تتقلب بين النصر والهزيمة، والجمال هنا يكمن في تحويل الزمن من وعاء جامد إلى "قوة حركية" تعيد ترتيب المشهد البشري (المرتضى، د.ت، ٢/١١٥). والإشارة بـ "تلك" تعيد التعظيم، والمداولة تعني نقل الدولة من قوم إلى قوم، مما يثبت أن الزمن "فاعل" في التاريخ بأمر الله (الطوسي، د.ت، ٣/٥). وهذه المداولة مدرسة لتحصيل القلوب، حيث يتجلى جمال الصبر في البلاء وجلال الشكر في النعماء (الكاشاني، د.ت، ١/٣٨٥). وتتجلى الجمالية البيانية في استخدام صيغة "المفاعلة" (نداول) التي توحى بالمشاركة والتكرار المستمر، وشمولية القانون الزمني لكل البشر (السامرائي، ٢٠٠٣، ٢/١١٠). ومن زاوية فلسفية كونية، يشير الفيزيائي كابرا (Capra, ١٩٧٥) في كتابه (The Tao of Physics) إلى أن الطبيعة تقوم على "الدورات" (Cycles)، وأن كل نظام مستقر يحتاج إلى "مداولة" وتدفق لضمان التوازن، وهو ما يتطابق مع المفهوم القرآني للأيام التي لا تثبت على حال، مما يجعل من الزمن "إيقاعاً جمالياً" يضبط نبض الوجود البشري. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ (سورة الأعراف: آية ٥٤)؛ هذا المشهد الذي بدأ بفعل (يغشى) وكأن الليل غشاء رقيق يغطي النهار، ليصور جمال البيان من كلام الله تعالى، وهذا الإعجاز في "الطلب الحثيث" والسرعة الدورانية للأرض، وفي قوله (يُغْشِي) من مادة (غ ش و) وهي التغطية والإحاطة، وفعل (يَطْلُبُهُ) من مادة (ط ل ب) وهي السعي خلف الشيء، مقروناً بلفظ (حَثِيثًا) من مادة (ح ث ث) وهي الإسراع في السير مع الجد والاهتمام (الفرايدي، ١٩٨٨، ٤/٣٦٥، مادة: غشو؛ ابن منظور، ١٩٩٣، ٢/١٣١، مادة: حثث). إن وصف تعاقب الليل والنهار بـ "الطلب" هو تصوير حركي بديع؛ فكأن كلاً منهما يطارد الآخر، والجمال في قوله "حَثِيثًا" يبرز السرعة المذهلة التي يتبادلان بها الأمكنة (السبزواري، د.ت، ٢/١٥٠). وهذا "الطلب الحثيث" آية على إحكام القدرة؛ فالحركة منتظمة لا تسبق ولا تتأخر، مما يحفظ توازن الحياة الحراري والبيولوجي (الطبرسي، ١٩٩٧، ٤/٢٤٥). ولفظ "حَثِيثًا" يوحي بقوة الدفع الزمني (الحلبي،

د.ت، ٥ / ٣١٠). وتبرز الجمالية البيانية في استخدام "يغشي" بالمضارع ليفيد الاستمرار اللحظي، ووصف الطلب بـ "الحثيث" ليشير إلى نشاط الحركة وقوتها (السامرائي، ٢٠٠٣، ٣ / ١١٥) ومن زاوية الإعجاز العلمي والجيوفيزيائي، يشير العالم بيدلوسكي (Pedlosky, 1987, ٢٤٠) في كتابه (Geophysical Fluid Dynamics) إلى أن سرعة دوران الأرض حول نفسها عند خط الاستواء تبلغ حوالي (١٦٧٠ كم/ساعة)، وهي سرعة هائلة تجعل "طلب" النهار لليل و"طلب" الليل للنهار يتم بصفة "حثيثة" جداً لا ندركها بحواسنا ولكن نرى نتائجها. هذا الوصف القرآني هو تعبير دقيق عن "الديناميكية الدورانية" التي تضمن توزيع الطاقة الشمسية، مما يثبت أن الخالق الذي صاغ اللفظ هو الذي أجرى الكوكب بهذه السرعة (Kump, et al., 2004, 95)، أما عن التنظيم الرقمي للسنة الكونية ودلالة "العِدَّة"، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (سورة التوبة: آية ٣٦) ولفظ (عِدَّة) من مادة (ع د د) وهي تدل على إحصاء الشيء ومبلغ مقداره (ابن فارس، ١٩٧٢، ٤ / ٣٠، مادة: عدد)، ولفظة (الشُّهُور) هي جمع شهر، من مادة (ش ه ر) التي تدل على الظهور والبيان (الأزهري، ٢٠٠١، ٦ / ١٥٨). إن تقييد العدة بـ "عند الله" وفي "كتاب الله" يشير إلى أن نظام الزمان قانون كوني أزلي، والجمال يكمن في "الاستقرار الزماني" الذي يمنح الوجود نظاماً يحمي البشر من اضطراب المواقيت، وتحديد الشهور باثني عشر شهراً هو آية على تقدير المصالح وتوافق الزمان مع حركة الأجرام (الطوسي، د.ت، ٥ / ٢١٠). والربط بين الشهور وخلق السماوات والأرض يثبت "وحدانية النظام"؛ فالزمن والمكان نُسجا في نولٍ واحد (الكاشاني، د.ت، ٢ / ٣٣٨). ويبرز الجمال البياني في استخدام الجملة الاسمية المؤكدة بـ "إِنَّ" لقطع دابر التلاعب بالزمان، والرقم "اثنا عشر" يمنح النص دقة رياضية تريح العقل البشري. ومن زاوية الإعجاز الفلكي والحسابي، أشار مارسدن (Marsden, 2003, 112) في دراساته حول (Celestial Mechanics) إلى أن دورة الأرض حول الشمس تضم تقريباً ١٢ دورة قمرية كاملة، وهذا "التناغم الرقمي" هو الذي أسس لمفهوم السنة الاثني عشرية كأدق وحدة زمنية كونية، وأثبتت الدراسات الكونية أن هذا التقسيم هو الوحيد الذي يتوافق مع الفصول الأربعة، وهو ما يطابق قوله "يوم خلق السماوات والأرض"، حيث أودع النظام في المادة لحظة التكوين الأولى (Steele, 2007, 85)

المبحث الثالث: الألفاظ الزمنية والسياق الدلالي

أولاً: لفظ (سَرْمَدًا) ووحشة الزمان الرتب:

يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (سورة القصص: آية ٧١)؛ ولفظ "سَرْمَدًا" يدل على الدوام الذي لا ينقطع، وقيل هو من السرد وهو تتابع الشيء (ابن فارس، ١٩٧٢، ٣ / ٧٣، مادة: سرم؛ ابن منظور، ١٩٩٣، ٣ / ٢١٣، مادة: سرم). إن اختيار "سرمد" دون غيرها يهدف إلى تصوير "ثقل الزمان" وتلاحقه الممل؛ فالسرمد هو الزمان الذي لا يتخلله ضياء، مما يبرز وحشة الكون لو توقفت حركته على وتيرة واحدة (السبزواري، د.ت، ٣ / ٢١٥). واستعمل اللفظ هنا في مقام التحدي؛ لأن انحباس الحياة في ليلٍ أبدي يعني فناء المنفعة وهلاك الأحياء (الطوسي، د.ت، ٨ / ١٦٢). فالسرمدية في الدنيا نوع من العذاب الموجب للوحشة، وهو ما يخدم الغرض الجمالي في إبراز قيمة النهار (الكاشاني، د.ت، ٤ / ١٠٢). وتتجلى الجمالية في جرس حروف اللفظ: (السين، الراء، الميم، الدال)، التي توحى بالامتداد والصلابة، بما يتناسب مع فكرة الليل الطويل (السامرائي، ٢٠٠٣، ٢ / ١٨٥). ويشير الأصفهاني (١٩٩٢، ١ / ٤٠٨، مادة: سرم) إلى أن السرمد هو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، واستعماله هنا مقيد بـ "يوم القيامة" لبيان قدرة الله على إخراج الزمان عن مجراه المعتاد، وهذا من أبلغ صور الإعجاز في تصوير البعد الزمكاني.

ثانياً: جمالية لفظ (أَحْقَابًا وَأَمَدًا) والامتداد الزمني:

يقول تعالى: ﴿لَا بَيِّنَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (سورة النبا: آية ٢٣)؛ استخدمت الآية لفظ "أَحْقَابًا" وهي جمع حُقب من مادة (ح ق ب)، التي تدل في الأصل على الحزام الذي يُشد به على حقب البعير، ثم استعملت للزمان الطويل الممتد (الفرهيدي، ١٩٨٨، ٣ / ١٠٥، مادة: حقب). والحُقب هو ثمانون سنة أو أكثر من الدهر غير المحدود (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ١ / ٨٢، مادة: حقب). إن "الأحقاب" تصور الزمان في حالة تداخل وتتابع لا نهاية له، مما يخدم السياق الجمالي في تصوير "ديمومة الجزاء" (المرتضى، د.ت، ١ / ١٥٨). والتتكير في "أَحْقَابًا" يفيد التكرير والتعظيم لدهرٍ مبهم لا يعرف قدره إلا الله (الطبرسي، ١٩٩٧، ١٠ / ٢٤٢). والعدول عن "أبدًا" إلى "أَحْقَابًا" يهدف إلى تجزئة الزمان ليكون أوقع في النفس (الحلبي، د.ت، ١٠ / ٦٥٠). ويبرز الجمال البياني في جمع "حُقب" على "أَحْقَاب" جمع قلة ليراد به الكثرة المطلقة عبر التجدد، لبيان أن العذاب يُقاس بوحدات زمنية مربعة (السامرائي، ٢٠٠٣، ٤ / ٣١٠). ويوحى اللفظ بالزمن الذي "يحقب" بعضه بعضاً، مما يجعل الزمن يبدو كحلقات متصلة لا انفكاك منها، وهو إعجاز في التعبير عن اللانهاية بوحدات زمنية مفهومة (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٣٠ / ٣٢).

ثالثاً: لفظي (أمدًا والعصر) الغاية والثمرة الزمانية: يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (سورة آل عمران: آية ٣٠)؛ لفظ "أمدًا" من مادة (أ م د)، التي تدل على الغاية والمنتهى للزمان والمكان (الأزهرى، ٢٠٠١، ١٤ / ١٥٨). والفرق بين الأمد والزمان أن الأمد هو "المدة ذات الغاية" (العسكري، ١٩٩٧، ١ / ٥٢). إن اختيار "أمد" يهدف إلى تصوير رغبة النفس في وجود "نقطة انقطاع" بعيدة جداً بينها وبين عملها السيئ؛ فالأمد هو الغاية المقطوعة (الكاشاني، د.ت، ١ / ٣٣٢)، واقتزان الأمد بصفة "البعيد" يرفع سقف التمني الوجداني لتباعد يمنع الالتقاء (الطوسي، د.ت، ٢ / ٤٤٥). ويوحي اللفظ بانتهاء الأثر، فكأن المذنب يود لو انمحت آثار عمله (السبزواري، د.ت، ١ / ١٤٨). ويحلل السامرائي (٢٠٠٣، ١ / ٢١٠) الجمال في استخدام "لو" مع "الأمد" لبيان الرغبة في النجاة الزمانية. ويشير العسكري (١٩٩٧، ١ / ٥٢) إلى أن الأمد يقع على الزمان الذي لا يُعرف قدره إلا بالانتهاء، ووصفه بالبعيد يجعله في حكم المعدوم، مما يخدم السياق الجمالي لبيان هول المطلع، حيث يصير الزمن عدواً يُطلب الفرار منه إلى أمد سحيق. وفي جمالية اللفظة القرآنية وإعجاز لفظ (العُصر) وفلسفة "استخلاص" الثمرة الزمانية، يقول عز وجل: ﴿وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ (العصر: ١-٢). ولفظ (العُصر)؛ من مادة (ع ص ر) التي تدل على ضغط الشيء حتى يخرج ما فيه من نفع أو ماء (ابن فارس، ١٩٧٢، ٤ / ٣٤١، مادة: عصر)، واقترن بلفظة (خُسْرٍ) من مادة (خ س ر)، بمعنى النقصان وذهاب رأس المال (ابن منظور، ١٩٩٣، ٤ / ٢٣٥، مادة: خسر)، القسم بالعصر هو قسم بالزمان الذي "يُعصر" فيه عمر الإنسان؛ فكما يُعصر العنب ليخرج منه أطيّب ما فيه، فإن الزمان يعصر طاقة الإنسان ليُخرج ثمرة عمله، والجمال يكمن في إحياء اللفظ بـ "الضيق" واقتراب النهاية، مما يحفز الوجدان للمبادرة قبل فوات الأوان (السبزواري، د.ت، ٤ / ٥١٢). و"العصر" هو الدهر كله أو وقت العصر خاصة، واختياره يشير إلى ساعة التصفية وحصاد النهار، مما يخدم السياق في بيان "الخسران" لمن أضاع هذه المدة المحدودة في غير طاعة (الطوسي، د.ت، ١٠ / ٤٠٥). والجمالية تكمن في تصوير الزمان كخادمٍ يطالب الإنسان بإنتاجه قبل أن ينقضي (الكاشاني، د.ت، ٥ / ٣٦٨)، ويبرز الجمال البياني في اختيار "العصر" دون "الدهر" أو "الزمن"؛ لأن لفظ العصر يوحي بـ "الكدح" والجهد المبذول، كما يتناسب بجرس حروفه القوية مع "الخسر" الذي يهدد من يغفل عن حقيقة الزمن (السامرائي، ٢٠٠٣، ٤ / ٤٥٠). ويشير الأصفهاني (١٩٩٢، ١ / ٣٣٨، مادة: عصر) إلى أن العصر هو "المنفعة المستخلصة" من الوقت، واستعماله هنا يرسخ فكرة أن الإنسان في سباق مع الزمن، فكل لحظة تمضي هي "عصرة" من عمره تذهب ولا تعود.

رابعاً: جماليات الطباق بين ألفاظ الزمان في الخطاب القرآني عن الكون:

وفي مشهد يصور ثنائية (بُكَرَةً وَأَصِيلًا) وجمالية الاستيعاب الزماني، يقول تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٢). استخدمت الآية لفظ (بُكَرَةً)؛ وهي من مادة (ب ك ر) التي تدل على أول الشيء وابتداء النهار (الفراهيدي، ١٩٨٨، ٥ / ٣٤٥، مادة: بكر)، ولفظ (أَصِيلًا) من مادة (أ ص ل) وهو الوقت من بعد العصر إلى مغيب الشمس، وسمي أصيلاً لأنه أصل الليل (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ١ / ٩٥٠، مادة: أصل)، فضلاً عن أن الجمع بين طرفي النهار هو استعارة لـ "دوام الذكر"؛ فالبكرة تمثل النشاط والإقبال، والأصيل يمثل الهدوء والإدبار، والجمال يكمن في "الاحتواء الزماني" لكل أحوال النفس البشرية بين هذين الوقتين (الرضي، د.ت، ٥ / ٢١٠). وتخصيص هذين الوقتين يرجع لشهود ملائكة الليل والنهار فيها، مما يضفي طابعاً "قدسياً" على الزمان، حيث يتحول طرفا النهار إلى بوابات للاتصال بالخالق (الطبرسي، ١٩٩٧، ٨ / ١٦٥). و"بكرة وأصيل" من باب ذكر البعض وإرادة الكل لتعويد النفس على ربط بدايات العمل ونهاياته بالتنزيه (الحلي، د.ت، ٨ / ٤١٢)، وتتجلى الجمالية البلاغية في "التقابل الزماني" (الطباقي) بين البكرة والأصيل، مما يمنح النص إيقاعاً زمنياً متوازناً، كما أن اختيار "أصيلًا" يتناسب مع جلال التسبيح في وقت الغروب (السامرائي، ٢٠٠٣، ٤ / ١١٥). ويشير ابن عاشور (١٩٨٤، ٢٢ / ٦٨) إلى أن هذين الوقتين هما أجمل أوقات النهار لتغير الألوان وانكسار الضوء، فجاء اللفظ الزماني متسقاً مع الحالة البصرية والوجدان الداعي للتأمل. أما عن دلالة دلوك الشمس وعَسَقَ اللَّيْلِ، فيقول تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (سورة الإسراء: آية ٧٨). فالذلوك في اللغة يعني زوال الشمس عن كبد السماء عند الظهيرة، وقيل هو غروبها، وأصل المادة من (د ل ك) التي تدل على مِيلَ الشيء، وسمي دلوكاً لأن الرائي يدلك عينيه لشدة شعاعها عند مِيلِها من وسط السماء (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٠ / ٤٢٦، مادة: ذلك)، أما عن جمالية اللفظة في السياق القرآني، فيشير الطباطبائي (١٩٧٣، ١٣ / ١٧٥) إلى أن جمالية "الدلوك" تكمن في كونه يمثل نقطة التحول الزماني التي تبدأ بها فريضة الصلاة، فكأن حركة الشمس في قبة السماء هي الميقات الكوني الذي يضبط إيقاع العبادة ويربط حركة الإنسان بنظام الفلك. وحضور لفظ "الدلوك" دون غيره يصور حالة التأمل المتدبر؛ فاللفظ يوحي بشدة الضياء والميل الذي يضطر الناظر إلى ذلك عينه، مما يضفي طابعاً حسيّاً يربط بين عظمة الظاهرة الكونية وبين التكليف الشرعي بالقيام للصلاة (الزمخشري، ١٩٩٦، ٢ / ٦٨٢)، و"عَسَقَ"، لفظة تدل على الظلمة الشديدة وانصباب الليل

(الأزهري، ٢٠٠١، ٨ / ١٥٠). والليل الغاسق هو الذي غاب شفقُه واشتد ظلامه (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٠ / ٢٨٨، مادة: غسق). إن "الغسق" هو غاية الظلمة، واختياره هنا يمثل الحد الزمني الذي تنقطع فيه الشواغل البصرية لتصفو النفس في صلاتها، والجمال يكمن في "السكونية" التي تجعل من الليل وعاءاً للسكينة (الكاشاني، د.ت، ٣ / ٢١٢)، والربط بالصلاة يهدف إلى تدريب النفس على الخلوة في أشد الأوقات وحشةً، لتستحيل تلك الوحشة "أنساً" بالذكر (الطوسي، د.ت، ٦ / ٥١٢)، ولفظ الغسق يجمع بين معنيي "الظلمة" و"السيلان"، وكأن الليل بجماله يسيل هدوءاً على القلوب المتعبة (السبزواري، د.ت، ٢ / ٤٤٥)، ولقد تحدّث السامرائي (د.ت، ١ / ٢٥٨-٢٦٠) عن جمالية لفظة ﴿ذُلُوكِ الشَّمْسِ وَغَسَقِ اللَّيْلِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ (الإسراء: ٧٨)؛ فيقول: "الذُّلُوكُ هو الميل، والغَسَقُ هو الظلمة، واختيار هاتين اللفظتين فيه دقّةٌ متناهية في تحديد أوقات الصلاة، فالذُّلُوكُ يشمل وقت الظهر والعصر، والغَسَقُ يشمل وقت المغرب والعشاء، ثم أفرد الفجر بالذكر لفضله. ولفظة (ذُلُوك) تُوحى بحركة الشمس وانزلاقها، ولفظة (غَسَق) تُوحى بظلمة الليل وسكونه، فجمع بين الحركة والسكون، وبين النور والظلمة، في تعبيرٍ كونيٍّ بدیع يربط العبادة بحركة الكون"، ويبرز الجمال البياني في استخدام "إلى غسق" لبيان امتداد وقت الاتصال بالله، ولفظ "الغسق" بجرس حروفه الغين المهترئة والسين الهامسة والقاف القلقة يصور هدوء الليل ورهبته (السامرائي، ٢٠٠٣، ١ / ٢٤٠)، ويشير الغزالي (د.ت، ١ / ٨٥) إلى أن "غسق الليل" هو زمان تجلي الحق للقلب، حيث يستر الليل بظلمته عيوب الخلق ليُظهر نور الحق، مما يجعل الزمان خادماً للروح في رحلة معراجها، وفي الجدول التالي مقارنة لجماليات التعبير الزمني وتنوع الخطاب القرآني عن الكون:

جدول (١) مقارنة لجماليات التعبير الزمني وتنوع الخطاب القرآني عن الكون

لفظ الزمان	المعنى	نوع الخطاب	جماليات اللفظ في السياق
في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ (القصص: ٧١)			
سَرْمَدًا	الدوام الذي لا ينقطع، وأصله من سرد الشيء (ابن منظور، ١٩٩٣، ٣ / ٢١٣).	استفهام إنكاري (أَرَأَيْتُمْ) للحجاج والتدبر.	يبرز وحشة الكون وتوقف حركته؛ واستعمل في مقام التحدي لأن انحباس الحياة في ليل أبدي يعني هلاك الأحياء (الطوسي، د.ت، ٨ / ١٦٢).
في قوله تعالى: ﴿لَا يَبْقَىٰ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبا: ٢٣)			
أَحْقَابًا	الدهر الطويل غير المحدود وجمعه أحقاب (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ١ / ٨٢).	الإخبار والوعيد (عبر صيغة اسم الفاعل).	يصور ديمومة الجزاء وتلاحق الزمان كحلقات متصلة لا انفكاك منها ليكون أوقع في النفس (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٣ / ٣٢).
في قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠)			
أَمَدًا	الغاية والمنتهى للزمان والمكان (الأزهري، ٢٠٠١، ١٤ / ١٥٨).	خطاب الخبر المقترن بالتمني (لَوْ).	يصور رغبة النفس في وجود نقطة انقطاع وفصل وجداني بعيد يمنع لقاء المذنب بعمله السيئ (الكاشاني، د.ت، ١ / ٣٣٢).
في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ (العصر: ٢-١)			
العَصْر	ضغط الشيء حتى يخرج ما فيه من نفع (ابن فارس، ١٩٧٢، ٤ / ٣٤١).	خطاب التوكيد بأسلوب (القسم).	يصور الزمان كخادم يطالب الإنسان بإنتاجه قبل الانقضاء، ويشير لساعة التصفية وحصاد النهار (الكاشاني، د.ت، ٥ / ٣٦٨).
في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٢)			
بُكْرَةً وَأَصِيلًا	أول النهار وآخره الذي هو أصل الليل (الفراهيدي، ١٩٨٨، ٥ / ٣٤٥).	خطاب الأمر بالذكر والتنزيه (سَبِّحْهُ).	تعويد النفس على ربط بدايات العمل ونهاياته بالتنزيه، وهو من باب ذكر البعض وإرادة الكل (الحلي، د.ت، ٨ / ٤١٢).
في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ (الإسراء: ٧٨)			

دلوک الشمس وغسق الليل	الدلوک: مِئل الشمس وزوالها (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٠ / ٤٢٦). الغسق: الظلمة الشديدة (الأزهري، ٢٠٠١، ٨ / ١٥٠).	الأمر بإقامة العبادة (أقيم).	يجمع بين حركة الشمس وانزلاقها وسكون الليل؛ ليربط العبادة بالتقابل بين النور والظلمة (السامرائي، د.ت، ١ / ٢٥٨). ويمثل حداً تتقطع فيه الشواغل لتستحيل وحشة الليل أنساً (الطوسي، د.ت، ٦ / ٥١٢).
-----------------------	--	------------------------------	---

وفي الختام، فقد تبين أن الألفاظ الزمنية في القرآن الكريم لم ترد بمعانٍ مجردة لرصد اللحظات، بل إنها حُمِلَتْ بدلالات نفسية وجمالية في خدمة السياق القرآني؛ فبينما جسدت "السرمدية" وحشة الرتابة، عملت "الأحقاب" على تجزئة البعد الزمني لجعل الوعيد أوقع في النفس، في حين رسم "الأمد" المسافة الوجدانية التي يطلبها الخائف فراراً من عمله، وجاء قسم الله تعالى بـ "العصر" لتتجلى معاني استخلاص قيمة العمر قبل النفاد، وبرزت جماليات التعبير القرآني بحضور الطباق في لفظي "البكرة والأصيل"، ولفظة "دلوک الشمس" وسكون "الغسق" لاستيعاب أحوال النفس البشرية وتدريبها على الانقطاع الوجداني للخالق، مما يثبت أن الزمان في القرآن هو روح تحاكي الوجدان وترسخ الحقائق الإيمانية المجسدة في حركة الكون وسكونه.

الخاتمة

أولاً: النتائج

١. أثبت البحث أن الألفاظ الزمنية في القرآن الكريم (كالسرم، والأحقاب، والعصر) ليست مجرد ظروف لتقدير الوقت، بل هي "تسيح بياني" حُمِلَتْ بدلالات نفسية وجمالية تخدم مقصد الهداية وترسخ اليقين بعظمة الخالق.
٢. تم الكشف عن وجود تناغم دقيق بين "البعد الرقمي" والآيات الكونية، وقد منح التحديد الرقمي دقة حسابية تريح العقل البشري فيما يتعلق باتساق النظام الكوني والزمني، وتثبت قدرة الحسيب المقيت سبحانه وتعالى.
٣. تبين أن "الطباق" في اللفظ الزماني كـ: (بكرة وأصيل، دلوک الشمس وغسق الليل) حقق احتوائه لأحوال النفس البشرية وربطها بالإيقاع الكوني وانسجامه مع أوقات العبادة.
٤. خلص البحث إلى أن مفردة "الإيلاج" تصور التداخل الزماني التدريجي والناعم بين الليل والنهار، وهو ما يتوافق مع الحقائق الفيزيائية لكروية الأرض، مما يمنع الصدمة البصرية والنفسية للكائنات.
٥. تبين أن دلالة لفظ "المداولة" في الأيام تحول الزمن من وعاء مجرد إلى قوة في التاريخ تتجلى معها إيقاعاً جمالياً يضبط نبض الوجود البشري.

ثانياً: التوصيات

يوصي البحث بضرورة توجيه الدراسات القرآنية المعاصرة نحو "الرؤى التفسيرية البيانية" التي تربط بين العلم وبين جمال المفردة القرآنية وتنوع دلالتها في سياق آيات كتاب الله، كما يدعو البحث إلى إدراج مادة تعني بـ "جماليات النظم الكوني" ضمن المناهج التربوية والتعليمية لتعزيز ثقافة التدبر لدى الناشئة، وربطهم بالكون ككتاب منظور يوازي ما ورد في القرآن الكريم، لتخرج الأجيال القادمة وقد غُرس بها اليقين بوحداية الله والاهتداء لمعرفة الخالق جلّ وعلا التي تشهد كل ذرة في الكون على وجوده ورحمته.

المراجع:

أولاً: الكتب العربية:

١. ابن النجار، م. (١٩٩٧). شرح الكوكب المنير (تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد). الرياض: مكتبة العبيكان.
٢. ابن سيده، ع. (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم (تح: عبد الحميد الهنداوي). بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. ابن عاشور، م. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
٤. ابن عطية، ع. (٢٠٠١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.
٥. ابن فارس، أ. (١٩٧٢). معجم مقاييس اللغة (تح: عبد السلام هارون)، ط٢، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٦. ابن منظور، م. (١٩٩٣). لسان العرب (ط٣). بيروت: دار صادر.
٧. أبو ملحم، ع. (د.ت). في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن. (د.م).

٨. الأزهرى، م. (٢٠٠١). تهذيب اللغة (تحقيق محمد عوض مرعب). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٩. الأصفهاني، ر. (١٩٩٢). مفردات ألفاظ القرآن (ط١، تح: صفوان عدنان داوودي). دمشق: دار القلم.
١٠. الألوسي، ح. (٢٠٠٥). الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم (ج١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
١١. الأندلسي، م. (١٩٩٢). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.
١٢. الباشا، ح. (١٩٩١). التفسير العلمي للقرآن في الميزان (ط١). القاهرة: دار الفكر العربي.
١٣. البقاعي، إ. (١٩٨٤). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
١٤. البيضاوي، ن. (١٩٩٨). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٥. جبر، ي. (د.ت). نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة (سلسلة أسفار العربية) ط١. نابلس: فلسطين.
١٦. الجرجاني، ع. (١٩٨٤). دلائل الإعجاز (تعليل محمود شاكر). القاهرة: مكتبة الخانجي.
١٧. الجرجاني، ع. (١٩٨٥). التعريفات. بيروت: مكتبة لبنان.
١٨. الجوهري، إ. (١٩٨٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار). بيروت: دار العلم للملايين.
١٩. الحلبي، ش. (د.ت). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٠. دراز، م. (١٩٩٨). النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم. القاهرة: دار القلم.
٢١. الرازي، ف. (١٩٨١). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). القاهرة: دار إحياء التراث العربي.
٢٢. الرازي، ف. (١٩٩٢). المحصول في علم أصول الفقه (تحقيق طه جابر العلواني). بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٣. الرضي، أ. (د.ت). حقائق التأويل في متشابه التنزيل. بيروت: دار الأضواء.
٢٤. الزبيدي، م. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: دار الهداية.
٢٥. الزركشي، ب. (١٩٥٧). البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). مصر: دار المعارف.
٢٦. الزمخشري، ج. (١٩٩٦). أساس البلاغة. بيروت: مكتبة لبنان.
٢٧. الزمخشري، ج. (١٩٩٦). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي.
٢٨. الزندانى، ع. (٢٠٠٠). الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. جدة: دار الإيمان.
٢٩. الزندانى، ع. (٢٠٠٠). بينات الرسول ومعجزاته. جدة: دار الإيمان.
٣٠. السامرائي، ف. (٢٠٠٠). التعبير القرآني. عمان: دار عمار.
٣١. السامرائي، ف. (٢٠٠٣). على طريق التفسير البياني. عمان: دار عمار.
٣٢. السامرائي، ف. (٢٠٠٣). لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ط٣). عمان: دار عمار.
٣٣. السبزواري، ع. (د.ت). المواهب العلية في تفسير الآيات القرآنية. بيروت: مؤسسة الأعلمي.
٣٤. السيوطي، ج. (١٩٩٦). معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم (تحقيق محمد إبراهيم عبادة). القاهرة: مكتبة الآداب.
٣٥. الشافعي، م. (١٩٤٠). الرسالة (تحقيق أحمد شاكر). القاهرة: مكتبة الحلبي.
٣٦. الشنقيطي، م. (٢٠٠٥). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: المكتبة العصرية.
٣٧. الشوكاني، م. (١٩٩٢). إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (تح: أحمد عزو عناية). بيروت: دار الكتاب العربي.
٣٨. الشيرازي، ن. (١٩٩٢). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. بيروت: مؤسسة البعثة.
٣٩. الطباطبائي، م. (١٩٧٣). الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٤٠. الطبرسي، ف. (١٩٩٧). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي.
٤١. الطبري، م. (١٩٦٠). تاريخ الطبري (تح: محمد أبو الفضل إبراهيم)، ط١، مصر: دار المعارف.
٤٢. الطبري، م. (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق عبد الله التركي). القاهرة: دار هجر.
٤٣. الطوسي، م. (د.ت). التبيان في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤٤. العسكري، أ. هـ. (١٩٩٧). الفروق اللغوية. القاهرة: دار العلم والثقافة.

٤٥. الغزالي، أ. (د.ت). جواهر القرآن. بيروت: دار إحياء العلوم.
٤٦. الفراهيدي، خ. (١٩٨٨). كتاب العين (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي). قم: دار هجرت.
٤٧. فضل الله، م. (١٩٩٨). من وحي القرآن. بيروت: دار الملاك.
٤٨. الفيروز آبادي، م. (٢٠٠٥). القاموس المحيط (ط٨، إشراف محمد نعيم العرقسوسي). بيروت: مؤسسة الرسالة.
٤٩. القرطبي، م. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق أحمد البدوني). القاهرة: دار الكتب المصرية.
٥٠. قطب، س. (٢٠٠٣). في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق.
٥١. قطب، م. (١٩٨٣). منهج الفن الإسلامي. بيروت: دار الشروق.
٥٢. الكاشاني، م. (د.ت). تفسير الصافي. بيروت: مؤسسة الأعلمي.
٥٣. الكفوي، أ. (١٩٩٨). الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٥٤. المحمص، ع. (٢٠٠٥). الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته). القاهرة: دار الكتب للنشر.
٥٥. المرتضى، ع. (د.ت). أمالي المرتضى. القاهرة: دار الفكر العربي.
٥٦. النابلسي، م. ر. (٢٠٠٥). موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. دمشق: دار المكتبي.
٥٧. النجار، ز. (٢٠٠٤). من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. القاهرة: مكتبة الشروق.
٥٨. نصيف، ع. (١٤١١هـ). الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ط٢). مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي.
٥٩. عدرة، غ. (١٩٩٦). فلسفة النظريات الجمالية. طرابلس: جروس برس

ثانياً: المجلات:

٦٠. حجازي، يحيى أحمد. (٢٠٢٥). الخطاب القرآني ودور السياق في تفسير القرآن الكريم. ، المجلد (٥)، العدد (٥)، ص ٢٣.
٦١. سرحان، رفيدة محمود شوقي. (٢٠٢٥). الآيات الكونية في سورة الأعلى: دراسة موضوعية. حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقازيق - جامعة الأزهر، المجلد ١٥، العدد ١، ص ص ١٨٣-٢٦٨.
٦٢. عبد الله، إ. (١٩٩٣). إشكالية المصطلح النقدي: الخطاب والنص. مجلة آفاق عربية. بغداد: السنة ١٨.
٦٣. عزام، أحمد سعيد صالح. (٢٠١٧). وحدات الزمن وأجزاؤه في القرآن الكريم (دراسة قرآنية). المجلد ٢١، العدد ٢، ص ص ٣٥-٦٧.
٦٤. العمراني، منصور علي سالم ناصر. (٢٠٢٤). الإقناع في القرآن الكريم: دراسة موضوعية من خلال الآيات الكونية في سورة فاطر.
٦٥. عوض، محمد يوسف عبد القادر. (٢٠٠٩). أسماء الزمن في القرآن الكريم: دراسة دلالية (رسالة ماجستير غير منشورة).
٦٦. مخلوف، ع. (١٩٨٥). الاستفادة من الألسنية في تفسير القرآن الكريم (بحث مقدم لملتقى دولي). الجزائر: جامعة عنابة.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Bucaille, M. (١٩٧٦). The Bible, The Qur'an and Science. Paris: Seghers.
2. Capra, F. (١٩٧٥). The Tao of Physics. Berkeley: Shambhala Publications.
3. Einstein, A. (١٩٢٦). Letter to Max Born.
4. Kepler, J. (١٦١٩). Harmonices Mundi.
5. Kump, L., Kasting, J., & Crane, R. (٢٠٠٤). The Earth System (٢nd ed.). New Jersey: Pearson Prentice Hall.
6. Marsden, B. (٢٠٠٣). The Mathematics of the Heavens. New York: Oxford University Press.
7. Miller, G. (١٩٩٢). The Amazing Qur'an. Jeddah: Abul-Qasim Publishing House.
8. Newcomb, S. (١٨٩٨). Tables of the Sun. Washington: Bureau of Equipment.
9. Northrop, J. (١٩٩٨). Atmospheric Optics and the Twilight Phenomenon. Cambridge: Cambridge University Press.
10. Pedlosky, J. (١٩٨٧). Geophysical Fluid Dynamics. New York: Springer-Verlag.
11. Steele, J. (٢٠٠٧). Astronomy and Calendars. London: Springer.